بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته أجمعين ومن تبع هداهم إلى يوم الدين وبعد .

فإن الدراسات الكلامية والأبحاث الأصولية لمن أكثر جوانب التراث الإسلامي أصالة وخطرا ؛ إذ هي منبعه الأصيل ، عنه تنبثق أكثر نظمه وتشريعاته ، وهي أيضا فلسفته الفكرية التي تستند إليها معظم القيم الإنسانية والعادات الأخلاقية ؛ بل الحياة البشرية كلها بجميع اتجاهاتها الفردية والاجتماعية والثقافية والسياسية حتى الفنية والأدبية تتقيد بقيودها وتنتظم بروابطها .

وحقا إنه ـ علم الكلام ـ من أشرف العلوم التي نشأت في وسط المجتمع الإسلامي وعاشت في كنفه وترعرعت تحت ظلاله . لأنه هو المتكفل ـ كما يصفه القاضى عضد الدين الإيجى (٧٠٠-٧٥٦هـ) ـ بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام واتصافه بصفات الجلال والإكرام وإثبات النبوة التى هى أساس الإسلام وبه يترقى فى الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان ، ويعرفه العلامة ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ) بأنه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات على مذهب السلف وأهل السنة [1] . هذا هو المقصد الأسنى والغاية العظمى التي من أجلها بعث النبي الكريم محمد ﷺ والنبيون من قبله .

---

(١) انظر المواقف للعلامة عضد الدين الإيجى : ١/٣١ ، ٣٢ ، مقدمة ابن خلدون : ٣/١٠٦٩، مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده : ٢/١٥٠ ، ١٥١ وكشف الظنون لحاجي خليفة : ١٥٠٣ .

يؤكد طاش كبرى زاده أن الموضوع الرئيس لعلم الكلام هو البحث في المسائل العقائدية لبيان صدقها بدليل العقل انطلاقا من التسليم بصحتها ، لأن إعمال العقل فيها ليس لأنها محل شك من المتكلم ، بل المتكلم مسلم بها ومعتقد بصحتها اعتقادا جازما ، وإنما يود تأييدها بالدليل العقلي لدفع الشبه عنها وتوكيدها[1] .

ومن المعروف تاريخيا أن صفاء الجو الذي ساد المجتمع الإسلامي في جميع نواحيه لاسيما الفكرية والثقافية بدأ يضطرب ويفقد استقراره وتوازنه بعد القرون الثلاثة الأولى التي وصفها المصطفى ﷺ بأنها خير القرون . وما كان المسلمون في تلك القرون المباركة بحاجة إلى تدوين العلوم وترتيبها سواء في الأصول أو في الفروع معقولا أو منقولا ، وكان ذلك ـ على حد تعبير السعد ـ «لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي ﷺ وقرب العهد بزمانه ولقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات»[2] ، لا بسبب أن التدوين في حد ذاته مذموم وبدعة منكرة كما يحلو لبعض القاصرين أن يدعي ذلك ؛ وفي مقدمتهم بعض المستشرقين ومن حذا حذوهم من بني جلدتنا . وليس وراء عدم التدوين في تلك العصور كذلك «ما توهم من عدم الشرف والعاقبة الحميدة» على حد تعبير المولى الخيالي [3] ـ فضلا عن كونه بدعة أو مذموما .

ثم كان ما كان وحدث ما حدث من تطورات الأحداث فى المجتمع الإسلامي وكثرت الأحزاب وشاعت الفرقة ، والفتوحات توالت في جانب آخر بعيدا عن هذه الانقلابات الفكرية وتقدمت مسيرة الجيش الإسلامي خطوة خطوة نحو القارات الكبرى واخترقت الآفاق الثقافية والحضارية التي كانت تسود فيها حتى دخل الناس في دين الله أفواجا من مختلف الحضارات والثقافات والعادات والتقاليد . ثم حدثت ظاهرة الترجمة لتراث الأمم السابقة وأصحاب الفلسفات الأجنبية ، وهكذا ظهرت موجة من الاضطراب الفكري وبدأ يحدث الصراع بين الأهواء والآراء .

---

(١) مفتاح السعادة نفس الصفحات المذكورة .

(٢) انظر شرح العقائد النسفية للعلامة التفتازاني : ١/١٥ وأيضا كشف الظنون لحاجي خليفة : ٣٢-٣٤.

(٣) انظر حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية : ١/١٥ .

فكان لا بد من مواجهة هذه المواريث الفكرية والتيارات العقلية والاتجاهات السياسية ، وكان علم الكلام هو صخرة النجاة وسلم السلام والأمان . فاتسع نطاق هذا العلم وتنوعت موضوعاته وتعددت طرقه ومناهجه على مر الزمان واختلاف الأمكنة تلبية لحاجات الوقت ومتطلبات الظروف .

وكان يواكب هذه الموجة الفكرية على اختلاف العصور طائفة من العلماء البارزين من ذوي البحث والنظر ومن جهابذة العقل والفكر ، حماية للعقيدة الإسلامية السمحة وتثبيتا لأركان الدين . ومن أبرزهم أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي والقاضي الباقلاني وابن فورك والإسفرايني وإمام الحرمين والغزالي والرازي والآمدي وغيرهم من المتكلمين . ولم يتخلف عن نصرتهم أهل التحقيق من المحدِّثين أيضا ، من أمثال الإمام البيهقي والنووي والحافظ ابن عساكر وابن العربي المالكي وغيرهم .

ولم تنقطع مسيرة هذه القافلة المباركة عند هؤلاء المتقدمين ؛ بل انتهض فريق من المتأخرين ليحملوا هذه الأمانة على أعناقهم اقتداء بأسلافهم واتباعا لسنة نبيهم . ويمثلهم أصدق تمثيل العضد الإيجي والسيد الشريف والسعد التفتازاني من علماء الكلام والتقي السبكي وابنه التاج السبكي وبدر الدين العيني والحافظ ابن حجر العسقلاني والحافظ السيوطي وابن حجر الهيتمي وغيرهم من أهل الفقه والحديث . ومن هؤلاء المتكلمين الكبار هذا العالم البارع والفريد الممانع ، مظهر الفتوة في العلم والعمر ، شمس الدين أحمد بن موسى الخيالي رحمه الله . وفي الأمة الإسلامية كثير من هؤلاء النوادر الكوادر ، العقلاء الأفذاذ يرجع إليهم في المعضلات ويقتدى بأثرهم في العلميات والعمليات .

ألفوا في الجدال والمناظرة وأنشأوا المقالات ووضعوا المطولات والموسوعات وصنفوا المختصرات . وهكذا أصبحت لدينا ثروة فكرية هائلة تعتبر من أنفس ما في التراث الإنساني وأنفعه . تبقى معظمها حبيسة للمكتبات بعد أن ضاع منها ما ضاع أثناء تمرد التتار الشياطين ثم الاستعمار الغربي الذي قاده ملاعين اليهود والنصارى ثم ـ للأسف ـ على أيدي الخونة من أبناء هذه الأمة ؛ وهي قصة يطول سردها وليس هذا موضع بسطه .

إن في نشر هذا التراث والاستفادة منه خدمةً كبيرة للدين الإسلامي وتأكيدا وترشيدا للنهضة الفكرية والحضارية التي أخذنا بأسبابها منذ زمن قريب والتي تقطع الآن مرحلة من أهم مراحلها ، تبرز فيها قيمة الاعتماد على فكرنا الأصيل والاستفادة بما لدى الآخرين من فكر بناء رشيد .

ولقد هيأ الله اللطيف المنان سبحانه وتعالى لي الأسباب لكي أتعرف على هذه الدراسات منذ جلست إلى علماء مليبار من الهند كتلميذ مستفيد مبتدئا بشيخي ومعلمي مؤسس جامعة الإحسان الإسلامية في كيرلا ـ الهند ـ العلامة الشيخ تي . تي . عبد الله كتي مسليار رحمه الله وأسكنه فسيح جنته وجزاه عني خيرا ، ثم ارتشفت من منهل هؤلاء الجهابذة ــ وعلى رأسهم ذلك العبقري العظيم قائد النهضة المباركة في أرجاء البلاد الهندية ورئيس جامعة مركز الثقافة السنية في كيرلا ، العلامة المصقع المجاهد الزاهد الشيخ أبو بكر أحمد الشافعي الأشعري حفظه الله جل وعلا ــ أصول الدين وفروعه على وجه التحقيق وعلى منهج وسط معتدل ؛ منهج أهل السنة والجماعة .

ثم سلمت نفسي ــ بتوجيه من مشايخي في الهند وإرشاد منهم ــ إلى الأزهر الشريف وأساتذته البارعين الأجلاء الذين حببوا إليَّ العلمَ بشتى فروعه لاسيما علم الكلام ، وأخص بالذكر منهم عالمينِ جليلَيْنِ اللذين سبرَا غور الفكر الإسلامي بدقة متناهية وبلغا منتهى التحقيق العلمي بحق ؛ أستاذي الدكتور محمد عبد الفضيل القوصي المالكي الأشعري وأستاذي الدكتور أحمد محمد الطيب المالكي الأشعري ، وبأيديهما الآن مقاليد هذه الجامعة العريقة وتدبير شؤونها . كان الله لهما عونا ومددا فيما أسند إليهما من أمر وبارك لهما في دينهما ودنياهما .

وهكذا كان تعرفي على أحد أعلام هذا العلم البارزين محط رحال الطالبين حجة المناظرين وسيف المجاهدين شمس الدين أحمد بن موسى الشهير بالخيالي رحمه الله . ولقد أخذني الانشغال بهذا العبقري ــ الصغير في العمر ــ الكبير في العلم

منذ زمن مبكر أثناء قراءتي لشرح العقائد النسفية على علماء الهند على وجه التحديد ، وقبل الجلوس إلى مائدته الثرية ، فكم كنت أسمع العلماء يذكرون الخيالي بكل إجلال وإكبار كما أن كبار الباحثين يصفونه بالدقة المتناهية والصعوبة البالغة ، ورجال الأصول يحتجون به والمحققون يرجعون إليه .

وعندما وقفت على سيرته واطلعت على مآثره ومناقبه ، وجلست إلى مائدته الفكرية جلسةَ باحثٍ وجدته بحق موسوعة كبيرة في شتى فروع العلم والمعرفة . ومع قصر عمره تبوَّأَ مكان الصدارة لدى العلماء وأهل العلم ، وترك آثارا سوغت له التفرد ويعجز عن مثلها أهل عصره .

فليس بعد كل ذلك يعد عجيبا أن أَجِدَّ كل الجد في التنقيب عن تراث هذا الإمام، وأحصي مصنفاته واحدا تلو الآخر لأعثر على واحد منها ـ حفظه لنا التاريخ ـ حتى أتشرف بدرسه وتحقيقه وإخراجه إلى النور بعد أن أُسدلت دون عتبته ستائر الخمول والنكران ليكشف لنا عن هذه الدوحة الفكرية السامقة والجوهرة الفريدة .

وإني مع كل هذا لأستشعر عظمة هذه الأمانة العلمية التي أناطها الله بي وأستحضر كذلك جلالة هذه الشخصية الفريدة وخطورة التعامل مع نصوصه في علم الكلام ، إلا أني لأتوكل في إنجاز هذا العمل على تأييد الله تعالى ونصرته أولا ، ثم أتكأ على العلوم التي زودني بها أساتذتي ومشايخي وهم عن شيوخهم وأساتذتهم إلى أن تنتهي السلسلة إلى معلم البشرية وهاديها سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، إذ إن هذا الدين بالأسناد ــ أو بالإسناد ــ ولولا الإسناد لضاع الدين ــ كما بينه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه . وهذه ميزة أو مفخرة أكرمنا الله تعالى بها نحن المسلمين وحدهم دون من سواهم ، وخاصة أهل السنة والجماعة .

نسأل الله أن يحفظ أساتذتنا ومشايخنا وحملة ديننا من كل سوء ومكروه ويعيد علينا من بركاتهم وأنوارهم ويمدنا بمددهم وكراماتهم وينفعنا بعلومهم في الدنيا والآخرة .

وهكذا حالفني التوفيق من الله عز وجل حيث هداني إلى هذا الشرح المفيد الذي اشتغلت به تحقيقا لنصوصه ودراسة لموضوعاته . وقد شرح به المولى الخيالي قصيدة أستاذه وشيخه العلامة محقق علماء الروم قاضي القسطنطينية المولى خضر ابن جلال الدين الشهير بخضر بك التي لخص فيها عقائد أهل السنة والجماعة في مجموعة أبيات تسمى بالقصيدة النونية كما تسمى أيضا بجواهر العقائد . وقد شجعني إلى هذا الأمر المهم أساتذتي في قسم العقيدة حفظهم الله ورعاهم فكان أن حظيت بشرف المجالسة مع هذا الحبر البحر لأكون واحدا ممن استفادوا منه وإن كنت أقلهم قدرا وآخرهم وردا .

هذا وأشير هنا بإيجاز إلى الخطة التي اتبعتها في إنجاز هذا البحث ، وذلك لتتميم الفائدة وليكون القارئ على بصيرة .

ويتكون هذا البحث من قسمين ؛ قسم الدراسة وقسم التحقيق . أما القسم الأول ؛ وهو قسم الدراسة فيشتمل على بابين ، **الباب الأول** في الحديث عن صاحب القصيدة النونية (جواهر العقائد) العلامة القاضي الإمام خضر بن جلال الدين الشهير بخضر بك وصاحب الشرح العلامة المولى أحمد بن موسى الشهير بالخيالي . ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول ؛ الفصل الأول تحدثت فيه عن عصر المولى خضر بك والمولى الخيالي من خلال ثلاثة مباحث ؛ الأول : الحالة السياسية ، الثاني : الحالة الاجتماعية ، الثالث : الحالة العلمية . وفي الفصل الثاني تناولت شخصية المولى خضر بك وحياته تحت مباحث سبعة ؛ الأول : اسمه ولقبه ونسبته وشهرته ، الثاني : مولده ونشأته ، الثالث : أساتذته ، الرابع : تلامذته ، الخامس : مؤلفاته ، السادس : قصيدته النونية ؛ جواهر العقائد ، السابع : وفاة المولى خضر بك . وتحدثت في الفصل الثالث عن شخصية المولى الخيالي وحياته من خلال مباحث ستة ؛ الأول : اسمه ولقبه وشهرته ونسبته ، الثاني : مولده ونشأته ، الثالث : أساتذته ، الرابع : تلامذته ، الخامس : مؤلفاته ، السادس : وفاة المولى الخيالي وثناء العلماء عليه .

وأما الباب الثاني فهو في الدراسة ، قسمته إلى أربعة فصول ؛ الفصل الأول : للحديث عن شرح الخيالي على القصيدة النونية تحت المباحث الأربعة التالية : أولا : نسبته إلى الخيالي ، ثانيا : موضوعه ومنهجه فيه ، ثالثا : حواشي شرح الخيالي ، رابعا : مخطوطاته . والفصل الثاني : تناولت فيه منهج التحقيق والدراسة في خمسة مباحث ؛ الأول : أسس اختيار النسخ ، الثاني : بيان النسخ التي اعتمدت عليها ، الثالث : أسس اختيار النص ، الرابع : اختلافات لا ألتزم بالتنبيه عليها ، الخامس : المنهج العام في التحقيق والدراسة . والفصل الثالث : خصصته لعرض موجز لشرح الخيالي على النونية . والفصل الرابع : تناولت فيه شخصية العلامة المولى الخيالي الفكرية من خلال شرحه هذا ، وهنا ينتهي القسم الأول .

وأما القسم الثاني فهو في تحقيق كتاب شرح الخيالي على القصيدة النونية لخضر بك ، وهو يشتمل على أربعة أبواب ــ بعد خطبة الكتاب ــ الباب الأول في الإلهيات وفيه الفصول الآتية : الأول : في إثبات واجب الوجود ، الثاني : في إثبات الوحدانية ، الثالث : في التنزيهات ، الرابع : في صفاته تعالى ، الخامس : في أفعاله تعالى ، السادس : في إثبات حدوث العالم ، السابع : في إبطال القول بالعلية . والباب الثاني في النبوات وفيه الفصول الآتية : الأول : في تعريف النبي ، الثاني : في المعجزة ، الثالث : في شبهات المنكرين للبعثة والرد عليها ، الرابع : في إثبات رسالة محمد ﷺ ، الخامس : في عصمة الأنبياء ، السادس : في تفضيل الأنبياء على الملائكة ، السابع : في كرامات الأولياء ، الثامن : في تفضيله ﷺ على سائر الأنبياء ، التاسع : في تفضيل الصحابة .

والباب الثالث في المعاد وفيه الفصول الآتية : الأول : في جواز إعادة المعدوم ، الثاني : في بعض أحوال الآخرة ، الثالث : في عذاب القبر ونعيمه ، الرابع : في الثواب والعقاب ، الخامس : في أن الجنة والنار مخلوقتان الآن ، السادس : في الخلود في الجنة والنار ، السابع : في العفو عن الكبائر ، الثامن : في الشفاعة ، التاسع : في الإيمان ،

العاشر : في أن المجتهد في الفروع يصيب ويخطئ . والباب الرابع في الإمامة ، وفيه الفصول الآتية : الأول : وجوب نصب الإمام ، الثاني : في ترتيب الخلفاء الراشدين ، وهنا ينتهي كتاب شرح الخيالي على القصيدة النونية للخضر بك رحمهما الله .

ثم في آخر البحث وضعت خاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لشرح المولى الخيالي على القصيدة النونية والاقتراحات التي رأيتها مهمة . وقد أثبت الفهارس العامة في نهاية البحث ؛ وهي تتضمن فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في الكتاب وفهرسا للموضوعات التي تشتمل عليها هذه الرسالة .

وبقي علي أن أشكر كل من أعانوني على إنجاز هذا البحث الذي حاولت أن أبذل فيه قصارى جهدي ، وكان لكثير من الشخصيات الفضل الكبير في خروج هذه الرسالة بهذا الشكل الذي هي عليه الآن ، على رأسهم فضيلة العلامة الدكتور عمر عبد الله كامل عالم الحجاز الشهير والمستشار الأعلى لجامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية في الهند ، وكانوا جميعا مصدرَ قوةٍ وتشجيع لي على مزيد من الاجتهاد والبحث والمثابرة منذ صغر سني حتى الآن ، من الهند إلى مصر الأزهر فرحم الله سبحانه وتعالى من انتقل منهم إلى الدار الآخرة ومَتَّعَ الآخرين بالصحة الكاملة والعافية الموفورة .

ومنهم من ساقوا إلي أسباب الرزق والمعيشة وزودوني بالكتب والمصادر تيسيرا لمزيد الدراسة والبحث بفراغ البال ، فالله أسأل أن يجزيهم عني خيرَيْ الدنيا والآخرة وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

القاهرة ــ جمهورية مصر العربية .
٢٥ ذو الحجة ١٤٢٧ هـ .
١٥ يناير ٢٠٠٧ م .

عبد النصير بن كنج أحمد ناتور الهندى